

(المحاضرة الرابعة)

الكتابة والمدرسة :-

تشكل الكتابة باعتبارها اداة التدوين ، الانجاز الاعظم لحضارة وادي الرافدين . تحقق لأول مرة في تاريخ البشرية قبل اكثر من خمسة الاف سنة بدءاً بالكتابة الصورية (العصر الشبيه بالكتابي) ولغاية الكتابة المسمارية (العصر التاريخي) ولتستمر مستخدمة حتى آخر ادوار هذه الحضارة . عثر على نص مسماري معروض في متحف بغداد يعود الى سنة ٥٠ ق. م . واكتشفت اقدم وثيقة تتضمن كتابة صورية في اوروك (الوركاء) تعود الى نهاية الالف الرابع ق . م ، قبل ان تتطور الى الكتابة المسمارية في حدود منتصف الالفية الثالثة ق. م .

وهكذا كانت للحضارة السومرية الفضل في نقل البشرية من ظلام (اميتها) التي استغرقت اكثر من ٩٩ % من عمر الانسان على هذه الارض والممتدة بحدود ٢ - ٣ مليون سنة . وكان المنهج الدراسي طويلاً وصارماً ، يستغرق سنوات طويلة ويتطلب تفرغاً كاملاً ، ويعتمد الحفظ اساساً ، خاصة في المرحلة المبكرة . وكان اول شيء يترتب على التلميذ هو ان يصبح حاذقاً في اللغة السومرية . ويتمرن على استنساخ واستظهار قوائم طويلة لاسماء ومصطلحات . واذا احرز تطوراً وافياً في اساسيات حرفته امكنه مواصلة دراسته في فرع من فروع العلوم المختلفة . والجدير بالذكر ان العلاقات الشخصية كانت تؤثر في موقع الطالب . تذكر وثيقة مدونة حوالي ٢٠٠٠ ق. م بأن نتائج احد الطلاب كانت سيئة وتعرض للضرب كثيراً لسوء ادائه الى حدود اصبح كارهاً للمدرسة . تغيرت الحالة عندما بادر والده الغني دعوة مدير المدرسة لمنزله . وبعد تزيينه من قبل الخدم وتقديم الطعام له وثوب جديد وشيء من الراتب الاضافي ووضع خاتماً في اصبعه ، تغيرت العلاقة بين المدرسين وبين التلميذ الغني .. ! ولعل

جميع فئات الكهنة تلقوا تدريبهم الاول بصفة كتبة على الرغم من ان المؤهلات الخاصة بالكهنوتية اشد صرامة من تدريس اللغة وتعلم الكتابة ، ولم تكن ابواب الكهنوت مفتوحة للجميع . فمثلاً اشترط بالنسبة للعرافين ان يكونوا من ذوي المولد النبيل والبنية السليمة . وكان مطلوباً من أي شخص في أي وظيفة في المعبد لغاية الالف الاول ق.م ان يكون سليم البدن . ابتكر السومريون مع بدء الكتابة رموزاً للأرقام ونظامين للعد احدهما النظام العشري والآخر النظام الستيني . "

ان للسومريين فضل كبير علينا في تقسيم اليوم الذي اعتبروا شروق الشمس بداية له ، فقسموه الى اثني عشر ضعفاً للساعة ، أي اربعة وعشرون ساعة ، ثم قسموا كل (نصف ساعة) الى ثلاثين جزءاً ... " وقد اقترح الفلكي الاغريقي (كديناس) اعتبار بداية اليوم من منتصف الليل لتحمله خطأ اقل في القياس الذي يسببه الحساب بشروق الشمس . وكان لنظام توزيع الدائرة الى ٣٦٠ درجة واليوم الى ٢٤ ساعة ان نتجت في النهاية منطقة البروج التي وسعت مجال علم التنجيم . اما الصفر فلم يُعرف الا في عهد الاحتلال السلجوقي في القرن السادس ق.م . ونضج استعماله على ايدي الرياضيين العرب .

الرياضيات والفلك :-

عرف رياضيو وادي الرافدين العمليات الحسابية الاربعة ، وتركوا جداول للضرب ومربعات الاعداد ومكعباتها وجداول لوغاريتمات بعض الاعداد، وكانت الطرق البابلية جبرية في اساسها ، واستطاعوا منذ الحقبة البابلية القديمة حساب اعداد كالجزور التربيعية والتكعيبية وحل المعادلات التربيعية (الدرجة الثانية) ، كما اتسمت الرياضيات البابلية بسمتين : النظام الستيني ، واستخدام نظام القيمة المرتبية ، وكان لهما فضل جم في حل العمليات الحسابية . كذلك

تضمنت الوثائق المكتشفة في مدينة اشنونا (تل اسمر) نصاً لنظرية هندسية تشبه (نظرية فيثاغورس) .

انطلقت حاجة حضارة وادي الرافدين لدراسة حركة الاجرام السماوية من عاملين مترابطين : اولهما ديني يتعلق بعلم ما وراء الطبيعة ، وثانيهما عملي لخدمة الدين ، يتمثل بعلم الكرونولوجيا (تقسيم الزمن الى فترات وتعيين تواريخ الاحداث وفق تسلسلها الزمني) فطبّقاً للعقيدة السائدة بان الاحداث التي تقع في الارض هي انعكاس لأحداث تحققت في السماء ، يمكن التعرف على احوال الآلهة عن طريق دراسة الكواكب والنجوم (علاوة على المظاهر الطبيعية - الكونية الاخرى) . وهذه المعرفة توفر امكانية التنبؤ بالمستقبل الخاص بالأرض من خلال معرفة رغبات الآلهة وتنفيذها ، ومن ثم تلطيف عقابها للبشر . " من هنا جاءت روحية الشكوكية المأسوية التي تحدت بها اسس فلسفة ارض وادي الرافدين ولهذا كان التنجيم هو اساس علم الفلك . " وعلى ذلك ، اعتبر علم الفلك وسيلة وليست غاية ، وفائدته الرئيسية هي ان يستخدم كدليل لأهداف علم النجوم (التنجيم) وتلبية رغبات الآلهة . وفي العام ١١٠٠ ق.م . تبني الآشوريون هذا العلم واخذوا التقويم عن البابليين . وكان هذا التقويم القمري - الشمسي يتألف من اثني عشر شهراً وكل شهر من ثلاثين يوماً . ولان هذه الدورة تتألف من ٣٦٠ يوماً ، عليه اضيف شهر كبّيس في فترات منتظمة . ومن الناحية العملية اثبت هذا التقويم خلوه من عيوب مشكوك فيها . ونجح الفلكيون (الكهنة) تقرير وقت بدء الشهر القمري الجديد وحساب التاريخ المضبوط وابلاغه للملك الذي كان يقوم بنفسه بإعلان بدء الشهر . وكانت اجهزة القياس التي يستخدمونها بسيطة لا تتجاوز الساعة المائية water . اما فيما يخص المكتبات فقد كانت منتشرة في كل المدن الاقليمية تقريباً وعلى مسافة منتظمة لكل مكتبة وكانت توجد مدرسة

للسخ ملحقة بها وقد تم العثور على اكبر مجموعة من الالواح والتي كانت تتمثل بالمكتبة الخاصة بأشور بانيبال في نينوى اذ عثر على (٢٥٠٠) لوحة سليمة ومحكمة في مجموعته .

التربية عند المصريين القدماء :-

نظراً لتعدد المجتمع والحياة المصرية القديمة ، كان لا بد للمصري ان يتقدم خطوات ابعد من الاجراءات التربوية البسيطة التي كانت موجودة في مجتمعات اقل في المستوى الحضاري ولتعدد الحياة المصرية القديمة فلم يكن من المستطاع ان يكتسب الفرد الخبرات اللازمة لخلقته عضواً في المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار ولهذا كان تعليمياً ونظاماً مدرسياً معيناً لا بد من وجوده وفتحت المدارس ومعاهد علمية ، طرق ابوابها للتلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية والتكنولوجية اللازمة لمجتمع ضرب سهماً وافراً في التقدم الحضاري وخاصة في ميدان الصناعة ، على ان غرض المدارس بصورتها النظامية كان اكثر اهتماماً بالأمر المتعلقة بتعلم اللغة والادب وايدولوجية الدولة وقد اخضع الكهنة لنفوذهم الفنون والحرف ومختلف المناشط الفنية العليا في الدولة ولم تكن هذه الفنون والحرف والتعلم في المدارس لكل من يريد تعلمها .

اهتم المصريون القدماء اهتماماً كبيراً بالتربية اذ كانوا يرون ان المعرفة وسيلة لبلوغ الثروة والمجد ، ونظراً لتعدد المجتمع والحياة المصرية القديمة كان لا بد لابن وادي النيل ان يتقدم خطوات ابعد من الاجراءات التربوية البسيطة التي كانت موجودة في مجتمعات اقل في المستوى الحضاري وبسبب ذلك التعقيد ايضاً لم يكن في المستطاع ان يكتسب الفرد الخبرات اللازمة لخلقته عضواً في المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار ولهذا كان لا بد من وجود نظاماً مدرسياً وتعليمياً ارقى ، حيث فتحت المدارس والمعاهد العلمية التي طرق ابوابها

التلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية والتكنولوجية اللازمة لمجتمع ضرب سهماً وافراً في التقدم الحضاري .

ان غرض المدارس بصورتها النظامية كان اكثر اهتماماً بالأشور المتعلقة بتعلم اللغة والادب وقد اخضع الكهنة لنفوذهم الفنون والحرف ومختلف المناشط الفنية العليا في الدولة ولم تكن هذه الفنون والحرف والتعلم في المدارس متاحة لكل من يريد تعلمها . وقد كان النظام التربوي آنذاك يقسم الى ما يأتي : -

- مرحلة تعليم اولية للأطفال في مدارس ملحقة بالمعابد .
- مرحلة متقدمة وهي عبارة عن مدارس نظامية يقوم بالتعليم فيها معلمون مختصون الا انها كانت تقتصر على ابناء الفراعنة والطبقة الاولى والخاصة .
- مرحلة التعليم المهني .
- مرحلة التعليم العالي . حيث كان لديهم جامعات تدرس علوم الرياضيات والفلك والطب والهندسة .

كما يمكن تحديد اهتمامات التعليم المصري القديم بثلاثة ابعاد هي :

- التدريب المهني : الذي كان يهدف الى اكساب الفرد مهارات من فروع الحياة العملية .
- تعليم الكتابة : وذلك لما للكتابة من اهمية وللكتاب من قيمة في ذلك العصر .
- التوجيه الاخلاقي : فالمجتمع المصري القديم يهتم جداً بالجانب القيمي والاخلاقي اذ كانت كتاباتهم مليئة بالأخلاق والحكم .

اما اهم اهداف التربية المصرية القديمة فيمكن اجمالها بما يأتي :

- ١ - تعليم ابناء المجتمع مبادئ الاحترام الصحيح للآلهة .

٢ - تعليم ابناء المجتمع السلوكيات اللازمة لخدمة الحياة الدينية .

٣ - تعليم ابناء الطبقات الراقية مختلف انواع العلوم النافعة .

٤ - نقل ثقافة المجتمع للناشئين .

٥ - تعليم ابناء الكهنة العلوم السرية .

وبهذا نجد ان من اهم خصائص التربية المصرية القديمة انها تربية نظامية ، صارمة ، متنوعة ،

واقعية ، قاصرة على القلة القادرة وخاضعة لسيطرة الدولة وطبقة الكهنة .

العوامل التي ساعدت على قيام الحضارة المصرية :

١ . الموقع الجغرافي المناسب .

٢ . اعتدال المناخ .

٣ . اهمية نهر النيل ووفرة الصخور والمعادن .

الغرض الرئيسي من التعليم بالمدارس :-

- معرفة الكتابة .

- تنمية المثل والقيم .

- التدريب المهني .

العوامل المؤثرة في النظام التربوي :-

١ - نظام الطبقات / المجتمع المصري القديم تكون من عدة طبقات اجتماعية هي :

أ. الطبقة المالكة : وكان على رأسها الملك واسرته وكبار رجال القصر .

ب. طبقة الكهنة وبعض النبلاء : وهم الطبقة الارستقراطية الاجتماعية .

ج. طبقة الجند وقادة الجيش .

د. طبقة كبار التجار واصحاب المهن .

هـ . طبقة الحرفيين والرعاة والفلاحين وبناء السفن والملاحين .

٢ - الحياة الدينية / كان من اهم الافكار التي تدور حولها الحياة المصرية فكرة الموت

٣ - نظام الحكم / ومن اشهر فراعنة مصر القديمة " خوفو وخفرع ومنقرع " وهم بناء الازهرامات

الثلاثة في الجيزة .

٤ - النظام الاسري / كان الاب وليس الام هو من اتجه التعليم الى ابراز اثره التربوي .